ما قبل المشهد الاخير

ما قبل المشهد الاخير

(١)

جوقة ..... عازفون
فى ثياب رسمية مهلهلة
وأربطة عنق
كرباط الأحذية
وجوههم صفراء
وشفاههم ترتجف
وأعينهم الزائغة
تضيق
رغم وسع الأفنية
يستميتون وراء
سيمفونية هاربة
من الآلات المحطمة
والأوتار واهية
ونوتة مبعثرة
أوراقها ممزقة
ونغمات هالكة
كشتات على الماء

طافية

وبوق عشش فيه العنكبوت

وملأته الأتربة

وعود جوُفه الصمت

خيوطه باكية

أناتها شاكية

***

إنها لحظة موجعة

كلحظة إسدال الأقنعة

على رؤوس بريئة

تحت المقصلة

تشوهت أيها العازفون

النغمات

وتحجرت مثقلة

***

إنها لحظة دامية

كظلام الأقبية

فى سجون الطاغية

لم لا تعون الحقيقة ؟؟

وتكفون عن الأسئلة
ألم يخبركم التاريخ
عن هلاك الأجوبة
***
إنها ليلة عزف صاخبة
موسيقاها حائرة
ترانيمها خائرة
وأصداؤها خالدة
سيعزف لحن
رثاء الغناء
وأنشودة
انتحار الموسيقى
تلك هى الحقيقة
تلك هى الحقيقة
***
(٢)
مصباح يتدلى من عتمة دائمة
وستائر سوداء داكنة
وأشباح جمهور وجوههم غائمة

ونساء نصف أثدائهن عارية
وسادة عقولهم من بغاء
وقلوبهم من صدأ
يحتسون الخمر فى جماجم الشهداء
وينهشون اللحم من جيوب الفقراء
أيها العازفون استعدوا لعزف
اللحن الأخير
حالما يعوى النفير
وتحط أقدام الأمير
وعشيقته ذات النهد الوثير
وحاشيته ذات الثياب الحرير
امرأته عاشت لعين يوسف الصغير
لم يكن نبيا ليرى برهان رب القلوب
ولم تكن بحاجة لقد قميصه للهروب
مولاكم العادل لم يبد الأسى
لفقد الأميرة
مولاكم العادل له ألف زوجة وعشيقة
إن رحلت واحدة
أُحلت له ألف رفيقة ورفيقة

(٣)

تلك حفلة للخيانة

واحتفال للسقوط

تلك لحظة ستلقى فيها آلاف القصائد

وتبسط فيها آلاف الموائد

ويقسم الشعراء فيها يمين الولاء

وسترمى الأميرة بالزنا

ويصدر قاضى الأمير

حكمه بالرجم

قبل صلاة العصر

ويبصم عليها مفتى القصر

سيعلن التلفاز فى نشرة السادسة

وصمها بالعار

ويوسف الحبيب

فيصفق الجمهور

ويتسامر الحضور

وسترسم صورتها فى كل حدب

هربت من قيد الحرير

إلى شظف العيش

وكسرة من قديد

***

(٤)

مشهد جديد

ستطفأ الأضواء لحظتها

وتبدأ رقصة البجع

أيها العازفون تناسوا الأم

واستطعموا الوجع

فالذى شب فيكم

ركع

والذى علا منكم وقع

ستعزفون لحنًا جنائزيا

لأجل

هروب الأميرة

عفوا إعدام .....

الأميرة

وجائزة لمن يدلى

بأوصاف الحبيب

***

(٥)

لحظة وينتهى كل شئ

إنه المشهد قبل الأخير

بعده

يصبح كل من كانوا هنا

أشباح ذكرى

وأصداء موسيقى

أيها العازفون استعدوا

ستعزفون آخر ألحان الحياة

سيمفونية

المشهد قبل الأخير

سيمفونية

كتبت بلغة الكهوف

فهيئوا آلات النحاس

شدوا الأوتار

ودقوا بقوة فوق الدفوف

***

(٦)

أيها العازفون هيا
إلى سيمفونية بلا عنوان
ولا طعم ولا لون
فى مشهدنا قبل الأخير
سنبكى فيها طويلا
ونحكى عنها كثيرا
أناتها عن فارس
من غير هذا الزمان
جاء قبل خلق المكان
ومن قبل بدء العصور
مزقته الخيانه
قبل الطعان
إنه يوسف الثائر الشهيد
رمز العناد
حبيب الأميرة
لم يكن رسولا أو نبيا
كان ثائرا
حرا نقيا

حارب منذ آدم عليه السلام
وآمن بكل الأنبياء
وصدق جميع المرسلين
وردت عنه بعض آيات
الزبور
وعبارات فى توراة موسى
وأسفار الإنجيل
وآيات من القرآن
ذى الذكر المبين
تعلم الدين من أهل الدين
وأوحى إلى قلبه العلم
كالخضر عليه السلام
ومر بكل الطغاة
ولعن كل البغاة
ويعشق ظلام السجون
اسمه فى كل الزنازن
على جدران المقاصل
بقايا دماه
أنشودة للثائرين

فارس من غير
قميص أو دروع
حارب فى ثياب يسوع
وقاتل مع صلاح الدين
ورد عن الوطن التتار
اسمه أبدا لم يرد
فى صحف العار
ولا قوائم الفرار
ولا عبدة الدرهم
ولاتجار الدولار
ولم يحتكر القوت
ويغش الدواء
حارب قبل
أن يعرف الناس الجياد
صنعه الله من طين العناد
ومن الأحجار التى شقتها
إرم ذات العماد
وجلبتها ثمود من كل واد
الف لاء وصرخة رفض

قالها منذ الخليقة
لكل والٍ أو وزير أو خليفة
حطوا على عرش البلاد
مروا فوق احلام العباد
وله فى كل ميدان ذكرى
واحتفال .... وبطولة
راية نصبت يوم الجلاء
وأخرى يوم تأميم القنال
وثالثة يوم حرب العبور
وهاهو الآن يعود فى ثياب الرجال
يرفع الرايات
فى ميادين
النضال
خلفه تمشى الحشود
قابعا فى وجه المحال
صامدا فى وجه
فرعون الذى طوى كل البلاد
وتجبر فوق كل أصناف العباد

***

(٧)

أيها العازفون إنها
سيمفونية تستعصى على عزف النغم
إنها قصة من طين الثورة
ونبض الألم
أيها العازفون
المحبطون
أيها الحاضرون
فى مسرح العرائس
فى سرادقات العزاء
أيها النائحون فى مأتم الشهداء
أيها المتفرجون فى صمت الهزيمة
أيها العابثون بأقدار البلاد
أيها الكل
أيها الأجزاء
إن رغبتم فى معرفة المشهد الأخير
وتفاصيله المحذوفة
بأمر مولاكم الأمير
بفرمان الوزير

فأقرأوا هذه السطور
ورددوا عنى هذه النبوءة
وافتحوا أبواب القبور
سيخرج الشهداء لحصار القصور
وانزعوا مصابيح الظلام
من ذات العيون السود

***

(٨)

أيها المنافقون
صباحا ومساء
ومع كل صلاة
أوقفوا المباخر
لا تنفخوا فى العود
و سترون على المسرح بطلا
مبتسما فرحا
يتدلى من مشنقة
ربما يكون
زهران دنشواى الحزينة
او الحلبى أيام الفرنسيس الغزاة

أو طومان باى فى ثياب القتال

عاشق مصر

وطن المبعدين

أنقى المماليك الجباه

عجبا

يتدلى رأسه

وهو مرفوع الجبين

***

(٩)

فى المشهد المحذوف

الحبيبة تبكى

فى دموع الأسى

غارقة

وحدها.. والحبيب .. والمشنقة

كفراشة الحرير قيدتها الشرنقة

لا كومبارس لا جوقة عازفة

فقط ترانيم رائعة

ترددها أفواه الملائكة

وأصداء الحياة

وبهجة الخلود

ونزق الميلاد

ووقع قطرات الشتاء

على أرض الجفاء

وطينة الإسفلت

واختفاء تام

لآلاتكم النافقة

من طول عزف الأكاذيب

والحكايات المنمقة

لمسامرات المماليك المتخمين

وأنتم أيها العازفون

فى ثيابكم الممزقة

تعانون الاحتضار

تشكون للصمت

وجع الآلات

والأسى الدفين

***

(١٠)

فقط

من بعيد يأتى عزف نای حزين

ربما يأتى من قلب ميادين الثورة

أو يولد من قلب الشهيد

ومن رحم المشنقة

فى خطى الشمس المشرقة

هنا يهرب جميع الحاضرين

ويصرخ مولانا الأمير

الستار الستار

أيها الحراس الستار

أطفئوا الشمس

فمع الشمس يأتى النهار

ساعتها أيها العازفون

رغما عنكم وعنا وعن مولانا الأمير

سيمحى لحن الانكسار

وتطمس سمفونيات الاندثار

وتعزف آلاتكم لحن الانتصار

اصبروا أيها العازفون

ورابطوا دون الفرار
فقد اقترب حصار الحصار
لحظة ويعزف
آخر ألحان النهار

***

(١١)

هذى هى التفاصيل الدقيقة
والحكايات القصار
التى حذفت من مسرحيتنا العريقة
بأمر مليكنا الجبار
لكنها ستأتى كالطوفان
كقارعة مالها من قرار
بإرادة الواحد القهار
كالسيل حين يغزو البوار
لا تخافوا لا تجزعوا
فالله يحمي هذه الديار
يوما
ستعزف رغم الظالمين
أجمل ألحان النهار

ساعتها ربما أكون

فى المستقر ... حفنة من تراب

فرددوا عنى هذى الحكاية

وعلقوها على كل جدار

واقرءوا على قبرى الفاتحة

ورووا شجرة الصبار

٢٠١٧/١١/٥